

مختصر ابن كثير

58 - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل إن الله نعمًا يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرًا .

يخبر الله تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها وفي الحديث : " أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخنن خانك " (رواه أحمد وأصحاب السنن) وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات النذور وغير ذلك ما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمن به من غير اطلاع بينة على ذلك فأمر الله بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتصر للشاة الجماء من القرناء " وقال ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال : إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قد قتل في سبيل الله فيقال : أد أمانتك فيقول : فأني أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها فيحملها على عاتقه فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها أبد الآبدين (أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود موقوفًا) قال أبو العالية : الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه . وروى ابن أبي حاتم عن مسروق قال قال (أبي بن كعب) : من الأمانات أن المرأة ائتمنت على فرجها وقال الربيع بن أنس : هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس . وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن (عثمان بن طلحة) حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمر بن العاص .

وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه وقال محمد بن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء إلى البيت فطاق به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا (عثمان بن طلحة) فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها وفوجد فيها حمامة من عيدان فكسرهما بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد فقال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده أن كل مآثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج " وذكر بقية الحديث في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ إلأن قال : ثم جلس رسول الله صلى

اﻟﻌﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺴﺠﺪ ﻓﻘﺎﻡ ﺇﻟﻴﻪ (ﻋﻠﻲ ﺑﻦ ﺃﺑﻲ ﻃﺎﻟﺐ) ﻭﻣﻔﺘﺎﺡ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻓﻲ ﻳﺪﻩ ﻓﻘﺎﻝ :
ﻳﺎ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺍﺟﻤﻊ ﻟﻨﺎ ﺍﻟﺤﺠﺎﺑﻪ ﻣﻊ ﺍﻟﺴﻘﺎﻳﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻚ ﻓﻘﺎﻝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ :
" ﺃﻳﻦ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺑﻦ ﻃﻠﺤﻪ " ؟ ﻓﺪﻋﻲ ﻟﻪ ﻓﻘﺎﻝ ﻟﻪ : " ﻫﺎﻙ ﻣﻔﺘﺎﺣﻚ ﻳﺎ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺍﻟﻴﻮﻡ ﻳﻮﻡ ﻭﻓﺎﺀ ﻭﺑﺮ
" . ﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﺟﺮﻳﺮ : ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻲ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺑﻦ ﻃﻠﺤﻪ ﻗﺒﻀﻢ ﻣﻨﻪ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻣﻔﺘﺎﺡ
ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻓﺪﺧﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﺒﻴﺖ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻔﺘﺢ ﻓﺨﺮﺝ ﻭﻫﻮ ﻳﺘﻠﻮ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ { ﺇﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻳﺎﻣﺮﻛﻢ ﺃﻥ ﺗﻮﺩﻭﺍ
ﺍﻻﻣﺎﻧﺎﺕ ﺇﻟﻰ ﺍﻫﻠﻬﺎ } ﺍﻻﻳﻪ ﻓﺪﻋﺎ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺇﻟﻴﻪ ﻓﺪﻓﻊ ﺇﻟﻴﻪ ﺍﻟﻤﻔﺘﺎﺡ ﻭﻗﺎﻝ ﻋﻤﺮ ﺑﻦ ﺍﻟﺨﻄﺎﺏ ﻟﻤﺎ
ﺧﺮﺝ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻠﻪ ﺼﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻣﻦ ﺍﻟﻜﻌﺒﻪ ﻭﻫﻮ ﻳﺘﻠﻮ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ { ﺇﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻳﺎﻣﺮﻛﻢ ﺃﻥ ﺗﻮﺩﻭﺍ
ﺍﻻﻣﺎﻧﺎﺕ ﺇﻟﻰ ﺍﻫﻠﻬﺎ } ﻓﺪﺍﻩ ﺃﺑﻲ ﻭﺃﻣﻲ ﻣﺎ ﺳﻤﻌﺘﻪ ﻳﺘﻠﻮﻫﺎ ﻗﺒﻞ ﺫﻟﻚ .
ﻭﻫﺬﺍ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺸﻬﻮﺭﺍﺕ ﺃﻥ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﻭﺳﻮﺍﺀ ﻛﺎﻧﺖ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﺃﻭ ﻻ ﻓﺤﻜﻤﻬﺎ ﻋﺎﻡ
ﻭﻟﻬﺬﺍ ﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻭﻣﺤﻤﺪ ﺑﻦ ﺍﻟﺤﻨﻔﻴﻪ : ﻫﻲ ﻟﻠﺒﺮ ﻭﺍﻟﻔﺎﺟﺮ ﺃﻱ ﻫﻲ ﺃﻣﺮ ﻟﻜﻞ ﺃﺣﺪ ﻭﻗﻮﻟﻪ : {
ﻭﺇﺫﺍ ﺣﻜﻤﺘﻢ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﺃﻥ ﺗﺤﻜﻤﻮﺍ ﺑﺎﻟﻌﺪﻝ } ﺃﻣﺮ ﻣﻨﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﺎﻟﺤﻜﻢ ﺑﺎﻟﻌﺪﻝ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻭﻟﻬﺬﺍ
ﻗﺎﻝ ﺯﻳﺪ ﺑﻦ ﺃﺳﻠﻢ : ﺇﻥ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ : ﺇﻧﻤﺎ ﻧﺰﻟﺖ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﻣﺮﺍﺀ ﻳﻌﻨﻲ ﺍﻟﺤﻜﺎﻡ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻭﻓﻲ
ﺍﻟﺤﺪﻳﺚ : " ﺇﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻣﻊ ﺍﻟﺤﺎﻛﻢ ﻣﺎ ﻟﻢ ﻳﺠﺮ ﻓﺇﺫﺍ ﺟﺎﺭ ﻭﻛﻠﻪ ﺇﻟﻰ ﻧﻔﺴﻪ " ﻭﻓﻲ ﺍﻻﺋﺜﺮ : " ﻋﺪﻝ ﻳﻮﻡ
ﻛﻌﺒﺎﺩﺓ ﺃﺭﺑﻌﻴﻦ ﺳﻨﺔ " ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﺇﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻧﻌﻤﺎ ﻳﻌﻈﻤﻜﻢ ﺑﻪ } ﺃﻱ ﻳﺎﻣﺮﻛﻢ ﺑﻪ ﻣﻦ ﺃﺩﺍﺀ ﺍﻻﻣﺎﻧﺎﺕ
ﻭﺍﻟﺤﻜﻢ ﺑﺎﻟﻌﺪﻝ ﺑﻴﻦ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻭﻏﻴﺮ ﺫﻟﻚ ﻣﻦ ﺃﻭﺍﻣﺮﻩ ﻭﺷﺮﺍﺋﻌﻪ ﺍﻟﻜﺎﻣﻠﻪ ﺍﻟﻌﻈﻴﻤﻪ ﺍﻟﺸﺎﻣﻠﻪ ﻭﻗﻮﻟﻪ
ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﺇﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﻛﺎﻥ ﺳﻤﻴﻌﺎ ﺑﺼﻴﺮﺍ } ﺳﻤﻴﻌﺎ ﻻﻗﻮﺍﻟﻜﻢ ﺑﺼﻴﺮﺍ ﺑﺎﻓﻌﺎﻟﻜﻢ